العارف بالله
بشر بن الحارث
الحافي

إعداد

م. وليد غازي عبدالعزيز المشهداني

جامعة الأنبار – كلية الآداب

ملخص البحث

يتمحور هذا البحث حول سيرة وحياة العارف بالله الجليل العلامة الأمام الشيخ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال الحافي، وقد تناولت أسمه ونسبه وكنيته ومكان وتاريخ ولادته ووفاته، كذلك قمت بذكر أبرز شيوخه الذين سلكَ بهم طريق العلم والتعلم في الحديث والفقه والتصوف، كذلك قمت بذكر أبرز تلاميذه الذين تعلموا منه ونقلوا علمه الى غيرهم، كذلك قمت بذكر أبرز أصحابه الذين سار معهم، ثم قمت بذكر رأي العلماء فيه، وكذلك لمحت الى عصره والبيئة التي عاش فيها، لما كان لها من أثر في تكوين شخصيته.

ذكرت بعضاً من كلامه في أمور مختلفة، وشيء من دعائه، وكذلك ذكرت بعضاً من أشاعره، وأرجو من الله التوفيق لما قمت به.

Abstract

Thanks to AIIah the god of all mankind and peace and Pryers upon the sincere and faithful prophet Mohammed who is very merciful with all peoples. The live countries and highiy-ranked peoples always remember their sons through the nenes of their great men end intellectuals whose mode of life is a synpol of greatness and exemplification. The history of lslam is rich with the writings of those who are known for their faith in God, good deeds, prayers-giving and high and good morals.I tried to be keen in choosing one of those great scholars who can be a candle that enlighten the paths of our generations. This research deals with the biography and life of the esteemed scholar Bishr bin AL-Harith AL-Hafi, and it is divided into two parts:

The first is devoted to talk about his name, kinship, surname, the dates when he was born and died. l have also mentioned the most well-known of his master Sheikhs and students as well as the mentioning of the opinions of scholars about him, his age and the environment he has been living in.

The second part is devoted to talk about his merits with reference to his verselines and what he has said.
l hope that God woulp help me to achieve success in this simple effort of mine, with Gods blessings on our prophet Mohammed{peace be upon him}.

مقدمة

الحمد لله حمداً كما ينبغي لعظيم وجهه وعزيز سلطانه، أن جعلنا مسلمين أولاً وأخراً وخصنا فيمن خصهم بخدمة الإسلام والمسلمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على هديه الى يوم الدين.

إن الأمم الحية والشعوب الراقية تذكر دائماً أبناءها بسيرة عظمائها وعباقرتها ليستمدوا من سيرتهم العظمة والعبرة والتاريخ الإسلامي حافل بتراجم عظماء المسلمين، الذين طبقت شهرتهم الخافقين لما اتصفوا به من إيمان بالله وتقوى وصلاح وأخلاق رفيعة وسيرة مستقيمة وقد حرصت على أن يقع اختياري على جهبذ من هؤلاء الجهابذة ليكون نبراساً ينير دروب الأجيال، وقد علمت أن هناك الكثير من العلماء الكبار على مدار التاريخ الإسلامي، فشعرت بالحاجة الى التعرف على مناهج هؤلاء الكبار، وتجاربهم لعلي أستطيع أن أقدم لنفسي أولاً ولغيري من طلاب العلم ومضة على الطريق، وقد يسر الله تعالى لي اختيار موضوع هذا البحث الذي أساله تعالى أن يجعله في ميزان حسناتي.

يتمحور هذا البحث حول سيرة وحياة العارف بالله الجليل العلامة الأمام الشيخ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال الحافي وقد قسمت موضوع البحث على مبحثين، تناول المبحث الأول: أسمه ونسبه وكنيته ومكان وتاريخ ولادته ووفاته، كذلك قمت بذكر أبرز شيوخه الذين سلكَ بهم طريق العلم والتعلم في الحديث والفقه والتصوف، كذلك قمت بذكر أبرز تلاميذه الذين تعلموا منه ونقلوا علمه الى غيرهم، كذلك قمت بذكر أبرز أصحابه الذين سار معهم، ثم قمت بذكر رأي العلماء

فيه، وكذلك لمحت الى عصره والبيئة التي عاش فيها، لما كان لها من أثر في تكوين شخصيته.

أما المبحث الثاني: فيشمل على مناقبه، وبعضاً من كلامه في أمور مختلفة، وشيء من دعائه، وكذلك ذكرت بعضاً من أشاعره، وأرجو من الله التوفيق لما قمت به.

المبحث الأول: اسمه ونسبه وكنيته.

بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله المروزي، أبو نصر الزاهد المعروف بالحافي، نزيل بغداد[١] قال ابن خلكان (وكان اسم جده عبد الله الغيور، أسلم على يد علي بن أبي طالب[٢].

ولادته ووفاته

كان مولده ببغداد سنة خمسين ومائة، سمع بها شيئاً كثيراً، ثم اشتغل بالعبادة واعتزل الناس، ولم يحدث، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة في عبادته وزهده وورعه ونسكه وتقشفه، وكانت وفاته يوم عاشوراء، وقيل في رمضان ببغداد، وقيل بمرو، والصحيح ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين، وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم، فأخرج بعد صلاة الفجر فلم يستقر في قبره إلا بعد العتمة وكان (علي المدائني) وغيره من أئمة الحديث يصيح بأعلى صوته في الجنازة : هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة، وقد روي أن الجن كانت تنوح عليه في بيته الذي كان يسكنه وقد رآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك، فقال غفر لي ولكل من أحبني الى يوم القيامة [٣].

(١) السلمي، أبي عبد الرحمن (ت ٤١٢ هـ)، طبقات الصوفية، تح، نور الدين شربيية، مكتبة الخانجي (القاهرة / ١٩٨٦ م) : ص٣٩.

(٢) ابن كثير، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف (بيروت / ١٩٨٨ م) : ٢٩٧/٩.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٩٧/٩.

شيوخه الذين سمع منهم ودرس عندهم

ـ أبرز شيوخه بالفقه .

١. شريك بن عبد الله (ت ١٧٧ هـ)

هو شريك بن عبد الله أبو عبد الله[١] بن أبي شريك النخعي، أبو عبد الله الكوفي القاضي أدرك زمان عمر بن عبد العزيز، قال العجلي، كوفي ثقة، وقال وكيع لم يكن في الكوفيين أروى من شريك، وقال أحمد بن حنبل هو أثبت من أبي إسحاق ومن زهير وأبي إسرائيل وزكريا، وقال عيسى بن يونس ما رأيت أحداً أورع في عمله من شريك، وأثبته بن حبان في الثقات[٢] وقيل له من أدبك قال أدبتني نفسي، لقد كنت بالكوفة أضرب اللبن وأبيعه، واشتريت به دفاتر وطروسا فأكتب فيها العلم والحديث، ثم طلبت الفقه فبلغت ما ترى، روى له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه[٣] وروى عنه بشر بن الحارث[٤] وتوفي سنة سبع وسبعين ومئة وله (٨٢) سنة يعني اثنتين وثمانون[٥].

٢. حماد بن زيد (ت ١٧٩ هـ)

هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي، الجهضمي، أبو إسماعيل البصري، الأزرق، مولى آل جرير بن حازم، وكان جده درهم من سبي سجستان، كان مولده سنة ثمان وتسعين، وكان من الحفاظ المتقين وأهل الورع في الدين ممن كان يقرأ حديثه كله حفظا وهو أعمى، مات يوم الجمعة في شهر رمضان سنة تسع

(١) ابن حنبل، احمد أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١ هـ)، كتاب الاسامي والكنى، تح : عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى (الكويت / ١٩٨٥ م) : ١١٩/١ .

(٢) الذهبي، محمد بن احمد بن يوسف (ت ٧٤٨ هـ)، الكوكب النير، تح، حميد عبد المجيد السلفي، دار العلم (الكويت / بلا) : ص٤٧/١.

(٣) المصدر نفسه : ٤٥/١.

(٤) المزي، جمال الدين أبي الحجاج (ت ٧٤٢ هـ)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تح : د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت / ١٩٩٨ م) : ١٠٠/٤ .

(٥) الذهبي، الكوكب النير : ٤٥/١.

وسبعين ومائة[١] قال سليمان بن أيوب صاحب البصرة سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول : ما رأيت أعلم من حماد بن زيد، قال يعقوب بن شيبة: حماد بن زيد أثبت من ابن سلمة، وكل ثقة غير أن ابن زيد معروف بأنه قصير في الأسانيد، ويوقف المرفوع فقال الخليلي ثقة متفق عليه، رضيه الأئمة، قال: كان المعتمد في الحديث[٢].

أبرز شيوخه في الحديث :

٣. عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ)

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي، أحد الأئمة الإعلام وحفاظ الإسلام، قال العباس بن مصعب المروزي، كانت أم عبد الله بن المبارك خوارزميه، وأبوه تركياً، وكان عبداً لرجل من التجار من همدان من بني حنظلة، وكان عبد الله إذا قدم همدان يخضع لولده ويعظمهم، وقال أبو أسامة: ما رأيت أطلب للعلم من عبد الله بن المبارك كان مولده سنة (١١٨ هـ)[٣] وكان أحد الأئمة فقهاً وورعاً وعلماً وفضلاً وشجاعة، صنف وحدث وحفظ، مات منصرفاً من طرطوس في شهر رمضان سنة (ت ١٨١ هـ) وقبره بهيت مدينة على الفرات مشهور يزار[٤] قال العجلي: ثقة ثبت في الحديث، يقال : أنه من الإبدال، وقال كتب عن ألف شيخ، وقال النسائي: لا نعلم في عصره اجل منه[٥] روى عنه بشر بن الحارث[٦].

(١) ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ)، مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٩٥٩ م) : ١٥٧/١.

(٢) ابن حجر العسقلاني أبي الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ)، تهذيب التهذيب، دار الفكر (بيروت / ١٩٨٤ م) : ١١/٣.

(٣) ابن حبان، مشاهير علماء الأمصار : ١٩٤/١.

(٤) المصدر نفسه، ص ١/ ١٩٤.

(٥) ابن حجر، تهذيب التهذيب : ٣٨٦/٥.

(٦) المزي، تهذيب الكمال : ١٠٠/٤.

٤. الفضيل بن عياض (ت ١٨٧ هـ).

هو الفضيل بن عياض، الأمام القدوة، شيخ الإسلام أبو علي التميمي اليربوعي المروزي شيخ الحرم حدث عنه منصور بن عبد المعتمد، وبيان بن بشر، وأبان بن عياش، وغيرهم وروى عنه بن المبارك ويحيى القيظان والشافعي وبشر الحافي وخلق كثير، سكنه مكة، وكان إمام ربانياً حمدانياً، قانتاً، ثقة كبير الشأن مات في المحرم سنة (ت ١٨٧ هـ)[١].

٥. أبو بكر بن عياش (ت ١٩٣ هـ)

الأمام أبو بكر بن عياش الأسدي مولاهم، شيخ الكوفة في القراءة والحديث، قال بعضهم كان لا يفتر من التلاوة قرأ اثنتي عشر الف ختمة وقيل أربعة وعشرون الف ختمة وعمره بضع وتسعون سنة توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة[٢].

٦. يحيى بن سعيد القطان (ت ١٩٨ هـ)

هو يحيى بن سعيد القطان ويكنى أبا سعيد، وكان ثقة مأموناً رفيعاً حجه، قال يحيى شهدت جنازة الأعمش بالكوفة، قال وحدثني سفيان بالكوفة، قال وتوفي يحيى بن سعيد القطان بالبصرة في صفر سنة ثمان وتسعين ومائة في خلافة عبد الله بن هارون [٣].

- **أبرز شيوخه بالتصوف**.

١. عبد الله بن داود الهمداني (ت ٢١٣ هـ)

هو عبد الله بن داود بن عامر بن الربيع الهمداني ثم الشعبي أبو عبد الرحمن المعروف بالخريبي، كوفي الأصل سكن (الخريبة) وهي محلة بالبصرة، روى

(١) الذهبي، محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (بيروت / بلا) : ٤٥/١.

(٢) اليافعي، أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعد (ت ٨٦٧ هـ)، مرآة الجنان وخبرة اليقظان، مكتبة المعارف (حيدر اباد / ١٣٣٨ هـ) : ٤٤١/١.

(٣) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت / بلا) : ٢٩٣/٧.

عن إسماعيل بن أبي خالد، وسلمة بن نبيط والأعمش، وهشام بن عروه، وروى عنه الحسن بن صالح بن حي وهو من شيوخه، وعمر بن محمد الناقد[١] قال ابن سعد كان ثقة عابداً ناسكاً، وقال معاوية بن صالح عن بن معين ثقة، قال ابن سعد مات في شوال سنة ثلاثة عشرة ومائتين[٢].

٢. الحجاج بن المنهال الانماطي (ت ٢١٧ هـ)

هو الحجاج بن المنهال الانماطي، ويكنى أبو محمد، وكان ثقة كثير الحديث توفي بالبصرة، يوم السبت سنة سبع وعشرة ومائتين[٣].

أبز تلامذته أو اللذين سمعوا منه.

١. محمد بن حاتم الجرجرائي (ت ٢٢٥ هـ)

هو محمد بن حاتم بن يونس الجرجرائي المصيصي، أبو جعفر العابد، روى عن بشر الحافي وأبيه حاتم بن يونس، وشيبان بن عيينة، وشعيب بن حرب، وعبد الله بن المبارك، وأبي معاوية محمد[٤] وقال أبو داود كان من الثقات وذكر أن علي ابن المديني روى عنه، قال أبو هاشم كان صدوقاً، وذكره ابن حبان في كتاب الثقات[٥] مات سنة (ت ٢٢٥ هـ)[٦].

٢. محمد بن جعفر الوركاني (ت ٢٢٨ هـ)

هو محمد بن جعفر الوركاني أبو عمران، نزيل بغداد، روى عن شريك وطبقته وعنده مسلم وأبو داود والبغوي وأبو يعلى، صدوق مات سنة (ت ٢٢٨ هـ) في رمضان[٧].

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب : ١٧٥/٥.

(٢) المصدر نفسه : ١٧٥/٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى : ٢٠١/٧.

(٤) المزي، تهذيب الكمال : ٢٥/٥.

(٥) ابن حبان، الثقات : ٩١/٩.

(٦) الذهبي، الكاشف : ١٦٣/٢.

(٧) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)، تقريب التهذيب، تح : محمد عوامة، دار الرشيد (سوريا/١٩٨٦ م):٤٧١/١، الذهبي، الكاشف، ١٦٢/٢.

٣. احمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)

هو أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد، أبو عبد الله مروزي، سكن بغداد، هو أحد الأئمة في الحديث، قال البخاري توفي يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة أحدى وأربعين ومائتين، قال أبو بكر ولد احمد سنة (١٦٤ هـ) ببغداد ودفن بباب حرب، قال علي المديني، يقول: ليس في أصحابنا أحفظ من ابن حنبل، وبلغني أنه لا يحدث إلا من كتاب ولنا فيه أسوة حسنة(١).

٤. عباس بن عبد العظيم العنبري (ت ٢٤٦ هـ)

عباس بن عبد العظيم أبو الفضل العنبري من حفاظ البصرة سمع القطان، وعبد الرزاق، وروى عنه مسلم والأئمة الأربعة والبخاري تعليق، وابن خزيمة مات سنة (٢٤٦ هـ)(٢).

٥. عبد الله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠ هـ)

هو عبد الله بن احمد بن أسد الشيباني أبو عبد الرحمن البغدادي، روى عن أبيه، وإبراهيم الحجاج، قال أبو بدر البغدادي عبد الله بن احمد جهبذ جهبذ، وقال الخطيب كان ثقة، وقال أبو علي الصواف ولد سنة (٢١٣ هـ) ومات سنة (٢٩٠ هـ) وقال أبو بكر كان عبد الله رجلاً صالحاً صادقاً اللهجة، كثير الحياء(٣).

أبرز أصحابه الذين سار معهم .

١. محمد بن المثنى بن زياد (ت ٢٦٠ هـ)

(١) الباجي، التعديل والتجريح : ٣٣٠/١.
(٢) ابن حبان، الثقات ٥١١/٨، الباجي، التعديل والتجريح : ١٠٠٩/٣٥.
(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب : ١٢٤/٥.

أبو جعفر السمسار شيخ بغداد معروف صحب بشر بن الحارث، قال أبو بكر الخطيب صدوق، روى عن عبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن مخلد وغيرهم توفي سنة مائتين وستين [١].

٢. محمد بن محمد حبش (ت ٢٦٣ هـ)

محمد بن محمد أبو الحسن بن عيسى بن عبد الرحمن المعروف بحبش بن أبي الورد الزاهد، مولى سعيد بن أبي العاص عتاقة، وإنما سمي حبشاً لسمرته، وجده عيسى هو المعروف بأبي الورد، وكان من صحابة المنصور، واليه تنسب سويقة أبي الورد، أما حبش فأنه صحب بشر بن الحارث حدث عنه البغوي وغيره، توفي في رجب سنة ثلاث وستين ومائتين [٢].

٣. يحيى بن الجلاء (ت ٢٦٨ هـ).

يحيى بن عبد الله بن الجلاء، صحب بشر بن الحارث، وكان رجلاً صالحاً قيل لأبنه عبد الله لمي سمي أبوك الجلاء فقال ما جلا أبي قط شيئاً وما كان له ضعة قط، كان يتكلم على الناس فيجلو القلوب فسمي الجلاء [٣] .

٤. يعقوب بن سواك (. ٢٧٨ هـ)

يعقوب بن سواك بن يوسف الختلى، سكن بغداد، وصحب بشر بن الحارث ولما احتضر قال له ابنه محمد يا أبت إذا قضيت نحبك ادقك عند أخيك بشر؟ فقال إذا مت فادفني عند أبي وأمي فإني أُحَبُّ أن يجمعنا الله في القيامة، توفي سنة ثمان وسبعين ومائتين[٤]

(١) الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت / بلا) : ٢٨٦/٢، الذهبي : شمس الدين محمد بن احمد(ت ٧٤٨ هـ)، تاريخ الإسلام، تح : عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي (بيروت / ١٩٨٧ م).

(٢) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي أبو الفرج (ت . ٥٩٧ هـ)، المنتظم، دار صادر (بيروت / ١٣٥٨ هـ) : ٤٦٩/٣ ؛ الذهبي، تاريخ الاسلام : ٢٠٧٨/١.

(٣) ابن الجوزي، المنتظم : ١٧/٥.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٢٨٤/١٤ ؛ ابن الجوزي، المنتظم : ٨٨/٥.

رأي العلماء فيه.

إن المتتبع والباحث في سيرة الأمام بشر بن الحارث والناظر الى كلامه وأقوال العلماء فيه يجده ذلك العالم المتبحر الذي واضب وحرص على تعلم العلم وتعليمه، وحرص على طلب العلم وظفر، فكان ذلك التلميذ النجيب الذي درس على يد مشايخ كبار أنهل من علمهم وسار على منهجهم حتى تمكن من علمه وأصبح يوعظ وتضع له حلقات العلم، كان ممن أفاق أهل عصره في الورع والزهد، تفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة واستقامة المذهب، وعزوف النفس وإسقاط الفضول كان كثير الحديث إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودفن كتبه لأجل ذلك[١] حدثنا بن خيثمة قال سمعت أبي يقول : وذكر بشر بن الحارث، أنه كان رجلاً تأدب بمذهب رجل يعني سفيان الثوري ففاقه لقلت بشر، لولا ما سبق لسفيان الثوري من السن والعلم[٢] قال يحيى بن أكثم قال لي المأمون لم يبق أحد في هذه الكون ينتمي منه غير هذا الشيخ يعني بشر بن الحارث[٣]، قال الحافظ أبو بكر الخطيب: سكن بغداد وكان مم فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرع بوفور العقل وأنواع العقل، وحسن الطريقة واستقامة المذهب، وعزوف النفس وإسقاط الفضول، وكان كثير الحديث، إلا أنه لم ينصب نفسه للرواية وكان يكرهها[٤] حدثنا محمد بن أبي عتاب عن محمد بن المثنى قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما تقول في هذا الرجل ؟ فقال لي: أي الرجال ؟ فقلت له بشر، قال لي: عن أربع سبعة من الإبدال [٥] قال إبراهيم الحربي، ما رأيت رجالات الدنيا لم أرَ مثل ثلاثة، رأيت احمد بن حنبل، تعجز أن تلد النساء مثله، ورأيت بشر بن الحارث من قرنه الى قدمة

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٢/٧.

(٢) المصدر نفسه : ٧٢/٧.

(٣) المزي، تهذيب الكمال : ٣٤٧/١.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٢/٧.

(٥) المصدر نفسه : ٧٢/٧.

مملؤاً عقلاً [١] كذلك قال إبراهيم الحربي، ما أخرجت بغداد أتم عقلاً منه، ولا أحفظ للسانه منه، ما عرف له غيبة لمسلم، ولو قسم عقله على أهل بغداد لصاروا عقلاء وما نقص من عقله شيء [٢] يقول أبا الفضل العطار يقول سمعت احمد بن علي الدمشقي يقول، قال لي أبو عبد الله بن الجلاء : رأيت ذا النون وكانت له العبارة ورأيت سهلاً وكانت له الإشارة ورأيت بشر بن الحارث وكان له الورع، فقيل له الى من كنت تميل. فقال بشر بن الحارث [٣]، حدثنا عبيد بن محمد، حدثني عمار قال : رأيت الخضر (ع) في المنام فسألته عن بشر بن الحارث فقال مات يوم مات وما على ظهر الأرض اتقى لله منه [٤].

دراسة تاريخية عن الحياة العامة في تلك الحقبة دينياً .

وسياسياً واجتماعياً وثقافياً .

المتتبع للعصر الذي عاش فيه الأمام العارف بالله بشر بن الحارث الملقب (الحافي) يجد أن هذا العصر قد امتاز بميزات مهمة ميزته عن العصور التي سبقته، فقد امتاز عصره بسمات عامة مهمة أثرت في المجتمع في تلك الفترة فمن الجانب الديني نلاحظ أن عصر الخلافة العباسية الأولى فقد أصطبغ بصبغة دينية، ويتجلى ذلك فيما اقبل عليه بنو العباس من مظاهر دينية كان له الأثر في جميع أنحاء الدولة الإسلامية ويظهر ذلك جلياً في خطبهم، حيث أشاعوا بان الله سبحانه قد حباهم بصفات قيادية، فوصفوا أنفسهم بأنهم أهل الحق، وأصحاب الورع وأرباب الرحمة وحملة الدين، وقد رفعوا شعار دينياً لتقوية سلطانهم السياسي فادعوا بأن

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٣/٧.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية : ٢٩٨/٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٤/٧.

(٤) الأصفهاني، أبي نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المكتبة السلفية (الرياض / بلا) : ٣٤٦/٨.

الخلافة ستبقى في أيديهم، ولن تخرج حتى يسلموها الى عيسى بن مريم، وأنه إذا ذهبت الخلافة منهم فهذه من علامات قيام الساعة [١].

أما من الجانب السياسي فقد عاش بشر بن الحارث في فترة خلافة أبي عبد الله (المهدي) الذي كانت مدة خلافته عشر سنين، وكان يمتاز بالسخاء وكانت في عهده أحداث مهمة من بينها محاربة الزنادقة[٢]، إذْ حاربهم في كل بلد كانوا يتواجدون فيه للقضاء عليهم، كذلك أهتم بالعمارة فبنى جامع الرصافة في بغداد، الذي كان روعة في البناء، كذلك قام بكسي الكعبة وطلي جدارها بالمسك والعنبر وكانت وفاته سنة(١٦٩ هـ) [٣] ثم بويع بعده ابنه الهادي أبو محمد موسى، وكانت أمه (أم ولد) بربرية واسمها الخيزران، لم يدم حكمه طويلاً [٤] حيث والى الحكم الى ابنه الرشيد أبو جعفر (هارون) الذي مكث في الحكم ثلاثة وعشرين سنة وشهرين، قام بأعمال مهمة سياسياً، إذْ أوقف نفوذ البرامكة الذي حاولا الاستئثار بالحكم، وحاولوا مد نفوذهم لإخضاع الخلافة لهم، توفي بطوس سنة (١٩٨ هـ) [٥] فتولي من بعده ابنه الأمين أبو عبد الله بن زبيدة، ولم يولي بعد علي بن أبي طالب، من أبوين هاشميين إلا هو، كانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر قام بفتح الأهواز، وقد قتل وهو في الثامنة والعشرين من عمره على أثر خلافٍ بينه وبين أخيه المأمون حول ولاية العهد لقيامه بتولية ابنه (موسى) العهد، مما أدى إلى

(١) هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر، معالم تاريخ الدولة العربية الإسلامية، المركز الأكاديمي (الدوحة / ٢٠٠١ م) : ص٦٤-٦٥.

(٢) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت ٦٣٠ هـ)، الكامل في التاريخ، تح : محمد يوسف الدقائق،دار الكتب العلمية(بيروت/١٤١٥ هـ) ط٢ : ٥/٢٩٤.

(٣) مغلطاوي، علاء الدين بن قلنج (ت ٧٦٢ هـ)، مختصر تاريخ الخلفاء، تح : آسيا الكليبان علي البارح، دار الفجر (القاهرة / ٢٠٠١ م) ط٦ : ص١١١-١١٢.

(٤) الطبري، أو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطابع بيروت (لبنان / ١٩٧٧ م) : ٨/١٨٧.

(٥) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٢٤٦ هـ)، مروج الذهب ومعاون الجوهر، دار الكتاب اللبناني (بيروت / ١٩٨٢ م) ط١ : ٢/٣٢١.

حصول فتنة قتل خلالها على يد طاهر ابن الحسين الذي خرج على الخلافة العباسية في تلك الفترة [١]، والت الخلافة من بعده الى أخوه المأمون، أبو العباس، عبد الله الذي مكث في الخلافة أثنين وعشرين سنة [٢] كان إماماً محدثاً نحوياً، وجعل ولاية العهد من بعده الى علي بن موسى الكاظم [٣] بويع من بعده أبو إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد وكانت بيعته في طرطوس كان شديد البأس خرجت في عهده حركات كثيرة منها حركة الطالبيين وهم ينسبون إلى علي بن أبي طالب بقيادة محمد بن القاسم سنة ٢١٩ هـ وقد فشلت هذه الحركة ومن أسباب فشلها باعتقادها بآراء المعتزلة [٤] وكذلك حركة الزط وهي من الحركات الصعبة التي واجهت المعتصم وأزعجته كثيراً وقد سيطروا على طريق البصرة وهددوا مرافق الدولة فوجه إليهم قائده عجيف بن عنسفة فقضى عليهم وحركات أخرى كحركة بابك الخرمي وغيرها توفي المعتصم سنة ٢٢٧هـ عقب إصابته بمرض قضى عليه فتولى ابنه الواثق الحكم والخلافة من بعده [٥]. وتلك هي أهم الأحداث السياسية في تلك الفترة.

وقد اهتمت الدولة الإسلامية في تلك الفترة اهتمامًا كبيراً بالصناعة، وعملوا على تشجيع بعض الصناعات المهمة والاستفادة من الثروات المعدنية، كالحديد والذهب والفضة والنحاس[٦]، وعملوا على بناء عدد من المدن المهمة في موقعها موقعها

(١) الطبري، تاريخ الرسل والملوك : ٥٥٧/٨.

(٢) مغلطاوي، مختصر تاريخ الخلفاء : ص١١٥-١١٦.

(٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك : ٣٢١/٢.

(٤) الهاشمي، عبد المنعم، الخلافة العباسية، دار ابن حزم (بيروت، ٢٠٠٦ م)، ص ٣٣٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

(٦) هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر، معالم تاريخ الدولة العربية الإسلامية : ص٨٩-ص٨٩-٩٠.

كالهاشمية والانبار والكوفة وحاضرة العالم في تلك الفترة بغداد ومدينة سامراء [١].

أما من الناحية الفكرية والعلمية، فقد امتاز ذلك العصر بأنه كان عصر القوة في مختلف العلوم والمعارف، وشجع على ذلك خلفاء بني العباس، حيث ظهر في تلك الفترة علماء نبغوا في كل العلوم، لذا كانت بغداد قبلة طلاب العلم والعلماء، فشهدت تلك الفترة اهتمام كبير من قبل الخلفاء بالعلم، ونشطت كذلك بينها حركة الترجمة في مختلف العلوم، وخصوصاً في عهد المنصور والرشيد والمأمون، حيث أنفقوا على العلم بسخاء فبرزت علوم نقلية وعقلية كثيرة [٢] فكان عصره عصر تقدم وازدهار سياسي واقتصادي وفكري وصناعي، أما سمات هذا العهد في الجانب الاقتصادي، هو ازدهار اقتصادي حيث شجع خلفاء بني العباس المواطنين على استغلال الموارد الاقتصادية داخلين وخارجين.

أما على الصعيد الداخلي، أهتموا بالزراعة وأكدوا على فلاحة الأرض، لإدراكهم بأن الضريبة العائدة منها ستكون كبيرة جداً، كوارد الى بيت المال[٣] أما على الصعيد الخارجي فقاموا على تحسين العلاقات مع الدول المجاورة في تلك الفترة، وعقد المعاهدات التجارية للنهوض بالواقع الاقتصادي للدولة العربية الاسلامية[٤] وكذلك من جانب أخر شجعوا التجارة وعملوا على التبادل التجاري البري والبحري حتى وصلت تجارتهم إلى دول كالصين والهند كانت مزدهرة اقتصادياً في تلك الفترة، فكان هذا التطور أثر في ازدهار في مختلف نواحي الحياة في تلك الفترة.

مناقبه:

١. وعن حفص عمر بن عبد الله الواعظ كان بشر بن الحارث شاطراً يجرح بالحديد ، وكان سبب توبته أنه وجد قرطاساً في أتون حمام فيه

(١)هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر، معالم تاريخ الدولة العربية الإسلامية : ص٩١

(٢) المصدر نفسه : ص٩٣ –٩٥.

(٣) هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر، معالم تاريخ الدولة العربية الإسلامية : ص٨٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩.

(بسم الله الرحمن الرحيم) فعظم ذلك عليه ورفع طرفه الى السماء، وقال : سيدي اسمك ها هنا ملقى فرفعته من الأرض وقلع عنه السحاة التي هو فيها، وأتى عطاراً فأشترى بدرهم غالية، لم يكن معه سواه، ولطخ تلك السحاة بالغالية، فأدخله شق حائط وأنصرف الى زجاجة كان يجالسه فقال له الزجاج : والله يا أخي لقد رأيت لك في هذه الليلة رؤيا، ما رأيت أحن منها، ولست أقول لك حتى تحدثني ما فعلت في هذه الأيام فيما بينك وبين الله تعالى: فقال ما فعلت شيئاً أعلمه، غير أني اجتزت اليوم بأتون حمام فذكره، فقال الزجاج: رأيت كان قائلاً يقول لي في المنام : قل لبشر ترفع اسماً لنا من الأرض إجلالاً أن يداس لتوهن باسمك في الدنيا والآخرة [١].

٢. ذكر محمد بن مخلد، قال ثنا أبو موسى هارون بن سعود الدهان، قال حدثنا منصور الصياد، قال مر بي بشر بن الحارث الحافي يوم الجمعة، وهو منصرف من الصلاة فقال : في هذا الوقت، قلت فما في البيت دقيق ولا خبز ولا درهم ولا شيء، فقال لي: الله المستعان، أحمل شبكتك وتعالى الى الخندق قال فحملتها، فقال توضأ وصل ركعتين، قال ففعلت، قال ألقِ بشبكتك وسم بسم الله، قال فألقيت الشبكة فوقع فيها شيء ثقيل، فقال قلت يا أبا نصر أعني عليها فأني أتخوف أن تخرق الشبكة، قال فجاء فجذبنا فإذا سمكة، فقال خذها وبعها وأشتري لعيالك ما يحتاجون إليه، قال فدخلت من الباب، فاستقبلني رجل على حمار، فقال: بكم فقلت بعشرة، قال قد أخذتها فوزن لي عشرة دراهم فاشتريت ما يحتاجون اليه في البيت، فما أن فرغت قلت لهم خذوا رقاقتين واجعلوا عليها من الحلوى حتى أذهب اليه، قال فجئت فدققت

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٢/٧ ؛ المزي، تهذيب الكمال : ٣٤٧/١.

الباب، فقال من هذا قلت منصور، لو ألهمنا هذا ما خرجنا السمكة، أذهب كل ذا مع عيالك[١].

٣. عن محمد بن الصلت[٢]، قال كنت عند بشر بن الحارث يعني الحافي الزاهد، فجاء رجل يسلم فقام اليه بشر فقمن لقيامه، فمنعني من القيام، فلما خرج، قال لي بشر يا بني تدري لم منعتك من القيام له، قلت لا، قال لأنه لم يكن بينك وبينه معرفة وكان قيامك لقيامي، فأردت أن لا تكون لك حركة إلا لله عز وجل .

٤. نظر رجل[٣]، إلى بشر الحافي وهو يطيل التعبد ويحسنه، فقال له لا يغرنك ما رأيت مني فإن إبليس تعبد الآف سنين ثم صار ما صار اليه .

٥. حكى عن بشر[٤]، الحافي أنه دخل عليه رجل في الشتاء فوجده جالساً يرعد وثوبه معلق على المشجب، فقال له في مثل هذا الوقت تنزع الثوب أو معناه، فقال يا أخي الفقراء كثير وليس لي طاقة مواساتهم بالثياب فأواسيهم بتحمل البرد كما يتحملون.

(١) الطبري، هبة الله بن الحسن (ت ٤١٨ هـ)، كرامات الأولياء، تح : د. أحمد سعد الحمان، دار طيبة (الرياض / ١٤١٢ م) : ٢٣٢/١٦.

(٢) ابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي، المدخل الى مذهب الأمام أحمد بن حنبل، تح : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت / ١٤٠١ هـ) : ١٧٩/١.

(٣) المناوي، زين الدين عبد الرؤوف (ت ١٠٣١ هـ) التيسير بشرح الجامع الصغير، مكتبة الأمام الشافعي (الرياض / ١٩٨٨ م) : ٣١٢/٢.

(٤) القاري، علي سلطان محمد (ت ١٠١٤ هـ) مرقاة المفاتيح، تحقيق : جمال عيتاني، دار الكتب العلمية (بيروت / ٢٠٠١ م) : ٣٨٥/٤.

٦. كان بشر بن الحافي طويل السهر يقول أخاف وأن يأتي أمر الله وأنانائم [١].

٧. قال بشر الحافي : رأيت النبي ﷺ فقال لي يا بشر : أتدري لم رفعك الله بين أقرانك ؟ قلت : لا يا رسول الله، قال : لإتباعك سنتي وحرمتك للصالحين ونصيحتك لإخوانك ومحبتك لأصحابي وأهل بيتي هو الذي بلغك منازل الأبرار [٢] لما نزل الموت ببشر الحافي وكان على عليائه من العبادة والزهادة شق عليه وساء ذلك فقيل له أتحب الحياة يا فلان، فقال يا قوم القدوم على الله شديد [٣].

بعض من كلامه .

❖ قوله في الخشوع في الصلاة :.

عن أبي طالب المكي، عن بشر الحافي قال : (من لم يخشع في صلاته فقد فسدت صلاته) [٤] .

❖ قوله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :.

حدثنا يحيى بن عثمان الحربي، قال سمعت بشر بن الحارث يقول : (لا ينبغي أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من يصبر على الأذى)[٥].

(١) الفيروز أبادي، إبراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ) التبصرة، تح : محمد حسن هيتو، دار الفكر (دمشق / ١٤٠٣ هـ).

(٢) الشاطبي، أبو اسحاق (ت ٥٠٩ هـ) الاعتصام، المكتبة الكبرى التجارية (مصر، بلا) : ٦٨/١٦.

(٣) الاشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ) العاقبة في ذكر الموت، تح، خضر محمد خضر، مكتبة الأقصى (الكويت / ١٩٨٦ م) : ١٣٤/٦.

(٤) الآلوسي، محمود أبو الفضل (. ١٢٧٠ هـ)، روح المعاني في تفسير القران العظيم والسبع المثاني، دار أحياء التراث (بيروت / بلا) : ٧٣/١٨ ؛ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٤ هـ) التفسير الكبير، دار الكتب العلمية (بيروت / ٢٠٠٠ م).

(٥) أبو نعيم، حلية الأولياء : ٣٣٧/٨.

❖ قوله في العمل بالعلم الذي يعرفه الإنسان:

قال أبو عمر بن أحمد الدقائق المعروف بابن السماك، عن الحسن بن عمرو المروزي، سمعت بشراً، وجاءوا اليه أصحاب الحديث يوماً، وأنا حاضر، فقال لهم بشر: ما هذا الذي أرى معكم قد أظهرتموه ؟ قالوا: يا أبا نصر نطلب هذه العلوم، لعل الله ينفع بها يوماً، قال: علمتم أنه تجب عليكم فيها زكاة، كما تجب على أحدكم إذا ملك مئتي درهم خمسة دراهم ؟ فكذلك يجب على أحدكم إذا سمع مئتي حديث أن يعمل منها بخمسة أحاديث، وإلا فانظروا أيش يكون عليكم هذا غداً [١].

❖ قوله في فضل الاستغفار:

. قال بشر الحافي، بلغني أن العبد إذا عمل الخطيئة، أوحى الله تعالى الى الملائكة الموكلين ترفقوا عليه سبع مرات فأن استغفرني فلا تكتبوها وإن لم يستغفرني فاكتبوها [٢].

❖ قوله في مخالطة الناس :

حدثنا عبد الله بن محمد بن يحيى، حدثني إبراهيم عن براء، قال بشر بن الحارث (حب لقاء الناس حب الدنيا، وترك لقاء الناس ترك الدنيا) [٣].

❖ قوله في الصبر :

قال بشر بن الحارث: الصبر الجميل، هو الذي لا شكوى فيه الى الناس) [٤].

❖ قوله في الشهوة :

حدثنا أبــو بكر بن بنت معاوية، قــال: سمعت أبا بكر بن عـفان، قــال :

(١) المزي، تهذيب الكمال : ٣٤٧/١.

(٢) الابشيهي، شهاب الدين محمد بن احمد (ت ٨٥٠ هـ)، المستطرق في كل مستطرق، تح : مفيد محمد قمجيه، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٩٨٦ م) : ٥٥٨/٢.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء : ٣٤٣/٨.

(٤) السلمي، طبقات الصوفية : ص٤٢.

سمعت بشر بن الحارث يقول : (إني لأشتهي الشواء منذ أربعين سنة فما صفا لي درهمه) [١].

قال بشر بن الحارث : (لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد) [٢] .

❖ قوله في فضل الصالحين :

قال إبراهيم الحربي، سمعت بشر بن الحارث يقول (بحسبك أن قوم موتى، تحيا القلوب بذكرهم، وان قوماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم) [٣].

❖ قوله في فضل حب الصحابة :

حدثني سري السقطي، قال سمعت بشر بن الحارث يقول : (ما أنا بشيء من عمل أوثق به مني بحب أصحاب النبي محمد ﷺ [٤] وسمعت عبيد بن محمد الوراق يقول: سمعت بشر بن الحارث يقول: (أوثق عمل في نفسي حب أصحاب محمد ﷺ) [٥].

❖ قوله في البدعة وأصحاب البدع :

حدثنا يحيى بن المختار، قال سمعت بشر بن الحارث يقول: سمعت الفضيل بن عياض، يقول: (بلغني أن الله عز وجل قد حجزَ التوبة عن كل صاحب بدعة، واشر أهل البدع المبغضون لأصحاب رسول الله ﷺ ثم التفت إلي فقال أجعل أوثق عملك عند الله حبك أصحاب نبيه فإنك لو قدمت الموقف بمثل قراب الأرض ذنوباً غفرها الله لك، ولو جئت وفي قلبك مقياس بغضاً لهم

(١) السلمي، طبقات الصوفية : ص٤٥.

(٢) المصدر نفسه : ص٤٣.

(٣) المصدر نفسه : ص٤٦.

(٤) أبو نعيم، حلية الأولياء : ٣٤٧/٧.

(٥) المصدر نفسه : ٣٤٧/٧.

ما نفعك عملك) [١] .

سُئل بشر بن الحارث عن البدعة، قال سمعت بيحيى بن اليمان يقول، قال سفيان البدعة أحب الى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها [٢].

❖ قوله في التفضيل بين الخلفاء .

قال أبو بكر بن زياد أنه قال بشر بن الحارث ما تقول في التفضيل، قال أبو بكر ﷺ وعمر ﷺ وعثمان ﷺ [٣].

❖ قوله في المال.

قال بشر بن الحارث رحمه الله عليه لأبن أدم في ماله ثلاث حسرات يجمعه كله ويتركه كله ويسال عنه كله [٤].

❖ قوله في الحزن.

قال بشر بن الحارث : الحزن ملك لا يسكن إلا قلباً مطهراً وهو أول درجات الآخرة[٥].

❖ قوله في ذم الدنيا.

قال بشر بن الحارث : من هوان الدنيا على الله عز وجل ان جعل بيته وعراً [٦].

(١) المقدسي، ابن محمد بن قدامه (ت /٦٢٠ هـ)، المتحابين في الله، دار الطباع (دمشق / ١٩٩١ م) ط١ : ٩٧/١.

(٢) الرازي، أبو الفضل عبد الرحمن بن احمد (ت ٤٥٤ هـ)، أحادث في ذم الكلام وأهله، تح : د. ناصر عبد الرحمن محمد الجديبع، دار أطلس (الرياض / ١٩٩٦ م) : ١٢١/٥

(٣) الخلال، أبو بكر احمد بن احمد بن هارون (ت ٣١١ هـ)، السنة للخلال، تحقيق : د. عطية الزهراني، دار الراية (الرياض / ١٩٨٩ م) ٤٠٣/٢.

(٤) ابن حمير، أبي الحسن بن أحمد السبتي (ت ٤٠١ هـ)، تنزيه الأنبياء، تح : محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر (بيروت / ١٩٩٠ م) : ١٦٨/١.

(٥) ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي (ت ٢٨١ هـ)، الهم والحزن، تح : مجدي فتحي السيد، دار السلام (القاهرة / ١٩٩١ م) : ٩٥/١.

(٦) البغدادي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٣٨١ هـ) ذم الدنيا، تح : مجدي فتحي السيد، دار السلام (القاهرة / ١٩٩٠ م) : ١٨٩/١.

❖ من دعائه.

قال بشر الحافي (اللهم أنك تعلم من فوق عرشك، أن الذل أحب إلي من الشرف، اللهم إنك تعلم من فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك إني لا أوثر على حبك شيئاً) [١].

❖ قوله في الصمت.

حدثنا الحسن بن عمرو، قال سمعت بشر بن الحارث يقول : (الصبر هو الصمت أو الصمت هو الصبر، ولا يكون المتكلم أورع من الصامت، إلا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في مواضعه) [٢].

❖ قوله في التوكل .

قال بشر الحافي : (يقول أحدهم توكلت، ومنهم على الله، يكذب على الله، لو توكل على الله رضي بما يفعل الله) [٣].

❖ قوله في الورع.

كان بشر الحافي رحمه الله من الورعين فقيل له من أين تأكل من حيث تأكلون، ولكن ليس من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك [٤].

❖ بعض من أشعاره .

(١) ابن احمد حكمي (ت ١٣٧٧ هـ) معارج القبول، تح : عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم (الدمام / ١٩٩٠ م) : ١٩١/١.

(٢) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ) شعب الإيمان، تح : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٠) ٢٦٨/٤.

(٣) الزرعي، محمد بن ابي بكر أيوب (ت ٧٥١ هـ) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تح : محمد حامد الثقفي، دار الكتاب العربي (بيروت / ١٩٧٣ م) : ١١٥/٢.

(٤) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ) إحياء علوم الدين، دار المعرفة (بيروت بيروت / بلا) : ٩٣/٢.

كان يتمثل بهذه الأبيات .

نفاق القذى في الماءِ لا نستطيعه وتكرعُ من حوضِ الذنوب فتشربُ

وتوثرُ من أكل الطعام ألـذة ولا تذكرُ المختار من أين يُكسبُ

وترقدُ يا مسكين فوق نمـارقٍ وفي حشوها نارٌ عليك تلهبُ

فمتى متى لا تستفيق جهالـة وأنت ابن سبعين بدينك تلعبُ [١]

حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، قال سمعت عثمان بن أحمد يقول : سمعت الحسن بن عمران المروزي، يقول سمعت بشر بن الحارث يقول :

ذهب الرجال المرتجى لفعالهم والمنكرون لكل أمر منكر

وبقيت في خلف يزين بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور [٢]

وأنشد بشر يقول :

وليس من يروق لي دينه يغرني يا صاح تبريقه

من حقق الإيمان في قلبه يوشك أن يظهر تحقيقه [٣]

سئل بشر بن الحارث عن القناعة فقال : لو لم يكن في القناعة شيء الى التمتع بعز الغناء لكان ذي يجزئ، ثم أنشد يقول :

أفادتني القناعةُ أيَّ عِزٍ ولا عِزٌ أعزُّ من القناعـة

فخذ منها لنفسك رأسَ مالٍ وصير بعدها التقوى بضاعة

تَحزُ حالين تُغَى عن بخيل وتَسمَدُ في الجنان بصبر ساعة[٤]

عن أبي عبد الله الأسدي قال، قال لي بشر الحافي يوماً.

قطع الليالي مع الأيام في خلـق والنوم تحت رواق الهم والقلق

(١) ابن هبة الله، أبي القاسم علي بن الحسن (. ٥٧١ هـ)، مختصر تاريخ مدينة دمشق، تح : محي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة، دار الفطر (بيروت / ١٩٩٥ م) : ٢١٧/١٠ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية : ٢٩٩/١٠.

(٢) أبو نعيم، حلية الأولياء : ٣٤٤/٨ ؛ البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)، الزهد الكبير، تح : عمار احمد حيدر، مؤسسة الكتب والثقافة (بيروت / ١٩٩٦ م) : ١٢٣/١.

(٣) أبو نعيم، حلية الأولياء : ٣٤٤/٨.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٦/٧.

أحرى وأعذر لي من أن يقال غداً إني التمسك الغنى كثرة الأموال والورق
رضيت بالله في عسر وفي يسري فلست اسلك إلا أوضح الطرق [١]

حدثني أحمد بن مسكين، قال خرجت في طلب بشر بن الحارث من باب حرب، فإذا به جالس وحده، فأقبلت نحوه، فلما رآني مقبلاً خط بيده على الجدار وولى، فأتيت موضعه فإذا هو قد خطب بيده

الحمد لله لا شريك لـه في صبحه دائماً وفي غلسه
لم يبق لي مؤنس فيؤنسني إلا أنيس أخاف من أنُسـهِ
فاعتزل الناس يا أُخَيَّ ولا تركن الى من تخاف من دنَسهِ [٢]

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن سار على هديه الى يوم الدين، وبعد : فقد جاء الاسلام لينشل الإنسان من مهاوي الضلال ودياجي الظلام إلى أُفق الرحمة الشاملة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [٣]، وتحققت رحمة الله في كل جوانب الحياة السياسية، والعلمية وقبل كل هذا تحققت في داخل الإنسان وفي قلبه وفي ضميره، وعاشت هذه الأمة تحت لواء هذا الدين الحنيف مهابةً قوية عزيزة متينة البنيان ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، فقد حصلت انتكاسات في مراحل تاريخية مختلفة، مما أدى الى اضطراب الحياة في جميع مفاصلها حتى دخل هذا الاضطراب الى داخل الإنسان، فأصاب عقله وضميره بالشلل والعجز والتواني،

(١) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ) صفة الصفوة، تح : محمود فاخوري د. محمد رواس قلعه، دار المعرفة (بيروت / ١٩٧٩ م) : ٧٠/١٦.
(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد : ٧٧/٧.
(٣) سورة الأنبياء، الآية : ١٠٧.

قال تعالى:﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [1] فهب المصلحون يلتمسون الحلول ويريدون الإصلاح ما استطاعوا وأدركوا ان نقطة البداية التي تجعلهم على الطريق الى الإصلاح تبدأ من داخل الإنسان، ومن ذاته لا من الظواهر والمظاهر الخارجية وسيراً على هذا المنهج وقع اختياري على هذا البحث ليكون جذوة من قبس على الطريق، فتم اختياري للشيخ العالم الأمام الرباني بشر بن الحارث، إمام أهل السنة فهو ممن سار على هذا الهدي، فقد كان رحمه الله تعالى يحث أتباعه على طلب العلم، وقد كان رحمه الله شرعياً في كل تصوراته عن التصوف، فلا تصوف عنده إلا الاسلام، إلا الكتاب والسنة، فقد كان حريصاً على توجيه أتباعه وتربيتهم وجعلهم على الطريق القويم، فقد كان يؤيد دائماً على تلقين أتباعه عقيدة السلف، ويوصيهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأراه اليوم هو المخّلص من حالة الاضطراب وعدم الانضباط والالتزام، فالمسلمون اليوم قد لا ينقصهم الفكر والنظر، وإنما ينقصهم الالتزام والانضباط وفقاً لأوامر الشرع .

وفي ختام بحثي المتواضع هذا أرجوا أن أكون قد وفقت لما فيه الخير والصلاح، وأعتذر عن التقصير والخطأ والنسيان، فكل ابن آدام خطاء، وحسبي قوله تعالى:﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ [2]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ.

(١) سورة طه، الآية : ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٨٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١. الابشهى، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠ هـ) المستطرق في كل مستطرق، تحقيق : مفيد محمد قمجيه، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٩٨٦م).

٢.ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠ هـ) الكامل في التاريخ، تحقيق : محمد يوسف الدقائق، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٥ هـ).

٣.ابن احمد حكمي (ت ١٣٧٧ هـ). معارج القلوب، تحقيق : عمر بن محمود عمر، دار الكتب ابن القيم (الدمام / ١٩٩٠ م).

٤.الألوسي، محمود أبو الفضل (ت ١٣٧٠ هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث (بيروت / بلا).

٥.ابن بدران، عبد القادر بن بدران الدمشقي (ت هـ) المدخل الى مذهب الأمام احمد بن حنبل، تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة (بيروت / ١٤٠١ هـ) .

٦.الباجي، سليمان بن خلف بن سعد (ت ٤٧٤ هـ) التعديل والتجريح، تحقيق أبو لبابة حسين، دار اللواء (الرياض / ١٩٨٦ م) .

٧.البغدادي، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت ٢٨١ هـ) ذم الدنيا، تحقيق : مجدي فتحي السيد، دار السلام (القاهرة / ١٩٩٠ م)

٨.البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ)

- الزهد الكبير، تحقيق : عامر احمد حيدر، مؤسسة الكتب والثقافة (بيروت / ١٩٩٦ م).

- شعب الإيمان، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٤١٠ هـ) .

٩.ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ)

- صفة الصفوة، تحقيق : محمود فاخوري و د. محمد قلعه جي، دار المعرفة (بيروت / ١٩٧٩ م) .

- المنتظر، دار صادر (بيروت / ١٣٥٨ هـ).

١٠. ابن حبان، محمد بن حبان أبو حاتم البستي (ت ٣٥٤ هـ) مشاهير علماء الأمصار، دار الكتب العلمية (بيروت / ١٩٥٩ م) .
١١. ابن حجر العسقلاني، أبي الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ)
- الإصابة في تميز الصحابة، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل (بيروت/١٤١٢هـ).
- تقريب التهذيب، تحقيق : محمد عوامة، دار الرشيد (سوريا / ١٩٨٦ م)
- تهذيب التهذيب، دار الفكر (بيروت / ١٩٨٤ م).
١٢. ابن حمير، أبي الحسن علي بن أحمد البستي (ت ٤٠١ هـ)
تنزيه الأنبياء، تحقيق : محمد رضوان الدايه، دار الفكر المعاصر(بيروت / ١٩٩٠ م) .
١٣. ابن حنبل، احمد أبو عبد الله الشيباني (ت ٢٤١ هـ)
كتاب الاسامي والكنى، تحقيق : عبد الله بن يوسف الجديع، مكتبة دار الأقصى (الكويت / ١٩٨٥ م).
١٤. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر (ت ٤٦٣ هـ)
تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية (بيروت / بلا) .
١٥. الخلال، أبو بكر احمد بن محمد بن هارون (ت ٣١١ هـ)
السنة للخلال، تحقيق : د. عطيه الزهراني، دار الراية (الرياض / ١٩٨٩ م) .
١٦. أبن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي (ت ٢٨١ هـ)
الهم والحزن، تحقيق : مجدي فتحي السيد، دار السلام (القاهرة / ١٩٩١ م).
١٧. الذهبي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت ٧٤٨ هـ)
- تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي (بيروت / بلا)
- الكوكب النير، تحقيق : حميد عبد المجيد السلفي، دار العلم(الكويت / بلا)
- تاريخ السلام، تحقيق : عبد السلام تدمر، دار الكتاب العربي (بيروت / ١٩٨٧ م)
١٨. الكاشف في معرفة من له روية في الكتب الستة، تحقيق : محمد عوامه، دار القبلة للثقافة الاسلامية (جده / ١٩٩٢ م).
١٩. الرازي، أبو الفضل عبد الرحمن بن أحمد (ت ٤٥٤ هـ)

- أحاديث ذم الكلام وأهله، تحقيق : د. ناصر عبد الرحمن محمد الجديع دار أطلس (الرياض / ١٩٨٩ م)
- الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي (بيروت / ١٩٥٢ م)
٢٠. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٤ هـ)
التفسير الكبير، دار الكتب العلمية (بيروت / ٢٠٠٠ م) .
٢١. الزرعي، محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ)
مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق : محمد حامد الفقهي، دار الكتاب العربي (بيروت / ١٩٧٣ م).
٢٢. السلمي، ابي عبد الرحمن (ت ٤٢١ هـ)
طبقات الصوفية، تحقيق : نور الدين شربية، مكتبة الخانجي(القاهرة/ ١٩٨٦ م)
٢٣. ابن سعد، محمد بن سعد أبو عبد الله الزهري (ت ٢٣٠ هـ)
الطبقات الكبرى، دار صادر (بيروت / بلا).
٢٤. الاشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٥٨١ هـ)
العاقبة من ذكر الموت، تحقيق : خضر محمد خضر، مكتبة الأقصى(الكويت/ ١٩٨٦ م) .
٢٥. الشاطبي، أبو اسحاق (ت ٥٠٩ هـ)
الاعتصام، المكتبة الكبرى (مصر / بلا) .
٢٦. الأصفهاني، أبي نعيم احمد بن عبد الله (ت ٤٣٠ هـ)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المكتبة السلفية (الرياض / بلا)
٢٧. الطبري، أو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٩ هـ)
تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم،مطابع بيروت (لبنان/١٩٩٧ م).
٢٨. الطبري، هبة الله بن الحسن (ت ٤١٨ هـ)
كرامات الأولياء، تحقيق: د. احمد سعد الحمان،دار طبقة (الرياض/ ١٤١٢ م).
٢٩. الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد (ت ٥٠٥ هـ)
إحياء علوم الدين، دار المغرفة (بيروت / بلا) .
٣٠. الفيروز ابادي، ابراهيم بن علي بن يوسف (ت ٤٧٦ هـ)
التبصرة، تحقيق : د. محمد حسن هيتو، دار الفكر (دمشق / ١٤٠٣ هـ).
٣١. القاري، علي سلطان محمد (ت ١٠١٤ هـ)

مرقاة المفاتيح، تحقيق : جمال عيتاني، دار الكتب العلمية (بيروت/ ٢٠٠١ م).
٣٢. المزي، جمال الدين ابي الحجاج يوسف (ت ٧٤٢ هـ)
تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق : د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة (بيروت / ١٩٩٨ م) .
٣٣. مغلطاوي، علاء الدين بن قنلج (ت ٧٦٢ هـ)
مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق : أسيا الحليبان علي البارح، دار الفجر (القاهرة / ٢٠٠١ م).
٣٤. المقدسي، ابن قدامه (ت ٦٢٠ هـ)
المتحابين في الله، دار الطباع (دمشق / ١٩٩١ م).
٣٥. المناوي، زين الدين عبد الرؤوف (ت ١٠٣١ هـ)
التيسر بشرح الجامع الصغير، مكتب الأمام الشافعي (الرياض / ١٩٨٨ م).
٣٦. الهاشمي عبد المنعم، عبد المنعم.
الخلافة العباسية، دار ابن حزم (بيروت– ٢٠٠٦ م).
٣٧. ابن هبة الله، أبي القاسم علي بن الحسين (ت ٥٧١ هـ).
مختصر تاريخ مدينة دمشق، تحقيق : محي الدين أبي سعيد وعمر بن غرامة، دار الفكر (بيروت / ١٩٩٥ م).
٣٨. اليافعي، أبي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعد (ت ٧٦٧ هـ)
مراة الجنان وعبرة اليقضان، مكتب المعارف (حيدر اياد / ١٣٣٨ هـ).
٣٩. هيئة التدريس بقسم التاريخ بجامعة قطر، معالم تاريخ الدولة العربية الاسلامية، المركز الأكاديمي (الدوحة / ٢٠٠١ م) .

